الصباح الإسلامية
AL-SABAH
No. 4955 | الإثنين | 15 صفر 1446 هـ | 19 أغسطس 2024 م | السنة السابعة عشرة
Alsabah Media www.alsabahpress.com

المنافقون جعلوا شغلهم الشاغل أن يلمزوا المطوعين من المؤمنين في الصدقات

إيصال المساعدات لمستحقيها من أفضل وأنفع أنواع الجهاد

في الكويت مائدة عامرة بما لذ وطاب من ألوان العمل الخيري، فهناك 150 لجنة تابعة لعشر جمعيات خيرية إضافة لسبعين مبرة خيرية من بينها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وجمعية العون المباشر و جمعية التعريف بالإسلام وجمعية إعانة المرضى وجمعية التكافل الاجتماعي ومبرات مثل الآل والأصحاب وغيرها.

جمعيات واناس يجاهدون باموالهم واوقاتهم في سبيل الله عز وجل لايصال المساعدات الى محتاجيها وهو جهاد الوقت الذي امر الله به في الوقت الذي لا نستطيع فيه الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال من افضل وانفع انواع الجهاد ولو كان بالقليل.

ولا يضر الانسان ان يجاهد بالقليل من المال او الكثير منه لان الله سبحانه وتعالى هو من يقبل قليل المال وكثيره ورب درهم سبق مئة الف درهم، باخلاص صاحبه وقبول الله لعمله.

وقوله تعالى «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم»، آية كريمة مباركة من سورة التوبة، السورة التي سماها الصحابة «الفاضحة».. فهي التي فضحت المنافقين، وهتكت أستارهم، وكشفت أسرارهم.. ولأجل ذلك قال عنها الإمام القرطبي: في السورة كشف أسرار المنافقين، وتسمى الفاضحة والبحوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وقال التابعي الجليل سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن سورة براءة - أي التوبة - سميت بذلك لأنها بدأت بقول الله تعالى: «براءة من الله ورسوله» فقال: تلك الفاضحة، وما زال ينزل ومنهم، ومنهم حتى خفنا أن لا تدع أحدا.

وتتحدث الآية عن فريق من المنافقين، وهم أولئك الذين جعلوا شغلهم الشاغل أن يلمزوا المطوعين بالصدقات من المؤمنين، فقاموا يعيبون أهل التطوع بالصدقات، الكثير منها والقليل، يرمون بالعيب أهل الصدقة بالمال الكثير وكذا الفقراء الذين تجود أنفسهم بالشيء القليل، وهم لا يجدون إلا جهدهم أي طاقتهم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود انه قال: لما امرنا بالصدقة كنا نتحامل.. فجاء أبو عقيل بنصف صاع وجاء إنسان باكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الا رياء. فنزلت: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات. والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم» فلم يسلم من ألسنة المنافقين احد ؛ فالذي مابرح يكد ويتعب ويحمل على ظهره طيلة يومه.. ثم عاد منهكا يجود بنصف صاع هو غاية جهده وطاقته، لم يسلم من ألسنتهم، بل قالوا في حقه إن الله لغني عن صدقة هذا، ولما جاء بعض الصحابة بأكثر من ذلك فجاء عبد الرحمن بن عوف بثمانية آلاف درهم.. وقيل بل تصدق بأربعمائة أوقية من ذهب.. وقيل بل تصدق بسبعمائة بعير، لما جاء بذلك عبد الرحمن بن عوف قال المنافقون إنما فعل ذلك رياء فذمهم الله تعالى لسوء صنيعهم وسخريتهم من المؤمنين، وصدهم عن سبيل الله تعالى وكراهيتهم للخير وحسدهم المؤمنين المسارعين في الخيرات.. وعاقبهم المولى تعالى من جنس عملهم فجازاهم على سخريتهم من أوليائه بأن سخر الله منهم وتوعدهم فوق ذلك في الدار الآخرة بعذاب أليم.

إنه عقاب المولى تبارك وتعالى لكل من صد عن سبيل الخير والهدى ومؤاذنته بالحرب لكل من آذى أولياءه ورماهم باللمز والسخرية وصدق المولى تبارك وتعالى حين قال: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل مختال فخور».

إن هؤلاء المخذلون لهم نموذج لضعف الهمة، وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز. وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات. ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك، لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.

والنص الكريم يرد عليهم بالتهكم المنطوي على الحقيقة:

«فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (82) فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ (83) وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ» (84)

وإنه لضحك في هذه الأرض وأيامها المعدودة، وإنه لبكاء في أيام الآخرة الطويلة. وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما يعدون.

«جزاء بما كانوا يكسبون»..

فهو الجزاء من جنس العمل، وهو الجزاء العادل الدقيق:

هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد - في ساعة العسرة - وتخلفوا عن الركب في أول مرة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح، ولا يُرجون لجهاد، ولا يجوز أن يؤخذوا بالسماحة والتغاضي، ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذي تخلوا عنه راضين:

«فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج، فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الخالفين»..

إن الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق. والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونه في ساعة الشدة فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب. فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة. والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف في ساعة الشدة، ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء، جناية على الصف كله، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحه المرير.

ومن نهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فنهيه مردود عليه من وجوه:

أحدها: إن الأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفا من الرياء بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها ونحن إذا رأينا من يفعلها أقررناه وإن جزمنا أنه يفعلها رياء فالمنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ فهؤلاء كان النبي والمسلمون يقرونهم على ما يظهرونه من الدين وإن كانوا مرائين ولا ينهونهم عن الظاهر لأن الفساد في ترك إظهار المشروع أعظم من الفساد في إظهاره رياء كما أن فساد ترك إظهار الإيمان والصلوات أعظم من الفساد في إظهار ذلك رياء ولأن الإنكار إنما يقع على الفساد في إظهار ذلك رئاء الناس.

الثاني: لأن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة وقد قال رسول الله: - صلى الله عليه وسلم «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم» وقد قال عمر بن الخطاب: من أظهر لنا خيرا أجبناه ووالياه عليه وإن كانت سريرته بخلاف ذلك ومن أظهر لنا شرا أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة.

الثالث: أن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا رأوا من يظهر أمرا مشروعا مسنونا قالوا: هذا مراء فيترك أهل الصدق والإخلاص إظهار الأمور المشروعة حذرا من لمزهم وذمهم فيتعطل الخير ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر ولا أحد ينكر عليهم وهذا من أعظم المفاسد.

الرابع: إن مثل هذا من شعائر المنافقين وهو يطعن على من يظهر الأعمال المشروعة قال الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصرة كادت يده تعجز من حملها فقالوا: هذا مراء وجاء بعضهم بصاع فقالوا: لقد كان الله غنيا عن صاع فلان فلمزوا هذا وهذا فأنزل الله ذلك وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله ورسوله.

مواقف من السيرة

النبي - صلى الله عليه وسلم - ذاق مرارة فقد الأبناء كما فقد الآباء من قبل

نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة فقد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين، وقد شاء الله -وله الحكمة البالغة- ألا يعيش له صلى الله عليه وسلم أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلا لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا ينتقص النبي في كمال رجولته شائ، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضا ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وكأن الله أراد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرقة الحزينة جزءًا من كيانه؛ فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين.

يتضح للمسلم من خلال قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنا، أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب فيها النبي صلى الله عليه وسلم لشرفها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

وفي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي صلى الله عليه وسلم مقتلا يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من امرأة لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلها من النساء: زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.

اشتراكه في بناء الكعبة

لما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من حريق وسيل جارف صدّع جدرانها، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم عليه السلام رضما فوق القامة فأرادوا هدمها ليرفعوها ويسقفوها، ولكنهم هابوا هدمها، وخافوا منه، فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نرُغ، ولا نريد إلا الخير.

وهدم من ناحية الركنين: فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا، فأصبح الوليد غاديًا يهدم، وهدم الناس معه حتى انتهوا إلى حجارة خضرة كالأسنمة آخذ بعضها ببعض.

وكانوا قد جزءوا العمل وخصوا كل قبيلة بناحية، واشترك سادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس في بناء الكعبة وكانا ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري» فشد عليه إزاره فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك دخل محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا فلما أخبروه الخبر قال: «هلموا ثوبًا؟» فأتوه به فوضع الحجر فيه بيديه ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعًا» فرفعوه، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

وأصبح ارتفاع الكعبة ثمانية عشر ذراعاً، ورفع بابها عن الأرض بحيث يصعد إليه بدرج، لئلا يدخل إليها كل أحد، فيدخلوا من شاءوا، وليمنعوا الماء من التسرب إلى جوفها، وأسند سقفها إلى ستة أعمدة من الخشب، إلا أن قريشا قصرت بها النفقة الطيبة عن إتمام البناء على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها الحجر، وبنوا عليه جدارا قصيرا دلالة على أنه منها؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم ألا يدخل في بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد.

الإسلام هدفه غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها

النبي صلى الله عليه وسلم ربط الخلق بالإيمان والعبادة وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الأخرة.

«الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، يحكم الدين عليه حكما قاسيا. فيقول فيه وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو. ومجانبة الثرثرة والهذر يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها. معتمدا على صدق الإيمان وكماله.. على أن بعض المنتسبين إلى الدين. قد يستسهلون أداء العبادات المطلوبة ويظهرون في المجتمع العام بالحرص على إقامتها وهم في الوقت نفسه يرتكبون أعمالا يأباها الخلق الكريم والإيمان الحق.. إن نبي الإسلام توعد هؤلاء الخالطين. وحذر أمته منهم. ذلك أن التقليد في أشكال العبادات يستطيعه من لم يشرب روحها. أو يرتفع لمستواها ربما قدر الطفل على محاكاة أفعال الصلاة وترديد كلماتها.. ربما تمكن الممثل من إظهار الخضوع وتصنع أهم المناسك.. كن هذا وذاك لا يغنيان شيئا عن سلامة اليقين.

ونبالة المقصد. والحكم على مقدار الفضل وروعة السلوك يرجع إلى مسار لا يخطئ. وهو الخلق العالي! وفي هذا ورد عن النبي أن رجلا قال له: يا رسول الله.

إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. فقال: «هي في النار». ثم قال: يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها. وأنها تتصدق «بالأثوار من الأقط» بالقطع من العجين ولا تؤذي جيرانها. قال: «هي في الجنة»!.

في هذه الإجابة تقدير لقيمة الخلق العالي وفيها كذلك تنويه بأن الصدقة عبادة اجتماعية. يتعدى نفعها إلى الغير. ولذلك لم يفترض التقلل منها كما افترض التقلل من الصلاة والصيام. وهي عبادات شخصية في ظاهرها.

إن رسول الإسلام لم يكتف بإجابة على سؤال عارض. في الإبانة عن ارتباط الخلق بالإيمان الحق. وارتباطه بالعبادة الصحيحة. وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة. إن أمر الخلق أهم من ذلك. ولابد من إرشاد متصل. ونصائح متتابعة ليرسخ في الأفئدة والأفكار. ان الإيمان والصلاح والأخلاق. عناصر متلازمة متماسكة. لا يستطيع أحد تمزيق عراها.

لقد سأل صلى الله عليه وسلم أصحابه يوما فقال: أتدرون من المفلس؟! قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام. ويأتي وقد شتم هذا. وقذف هذا. وأكل مال هذا. وسفك دم هذا. وضرب هذا. فيُعطى هذا من حسناته. وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار.

ذلك هو المفلس: إنه كتاجر يملك في محله بضائع بألف. وعليه ديون قدرها ألفان. كيف يعد هذا المسكين غنيا؟ والمتدين الذي يباشر بعض العبادات. ويبقى بعدها بادي الشر. كالح الوجه. قريب العدوان كيف يحسب امرءا تقيا؟ وقد روي أن النبي ضرب لهذه الحالات مثلا قريبا. قال: «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يُذيب الماء الجليد. والخلق السوء. يُفسد العقل كما يُفسد الخل العسل». فإذا نمت الرذائل في النفس.

وفشا ضررها. وتفاقم خطرها. انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه. وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا. فما قيمة دين بلا خلق؟!! وما معنى الافساد مع الانتساب لله؟!! وتقريرا لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم. يقول النبي الكريم: «ثلاث من كن فيه فهو منافق. وإن صام وصلى وحج واعتمر. وقال إني مسلم: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا أؤتمن خان». وقال في رواية أخرى: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا عاهد غدر. وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»!. وقال كذلك: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان. وإذا حدث كذب. وإذا عاهد غدر. وإذا خاصم فجر».